

الهوية وجدلية المركز والهامش في رواية نجمة لكاتب ياسين.

الأستاذ: علي رحماني

وناجي صالح

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة بسكرة- الجزائر

اهتمت الأعمال الأدبية بالقضايا المتعلقة بالهوية، لتضعها ضمن أولوياتها الثقافية والأيدولوجية، وقد تناول السرد بصفة خاصة أدوار الشخصيات من حيث أنها تحدد نواتها وتحدد من خلال جذورها وماضيها، وما تسعى إليه لإثبات كيانها واسترجاع هويتها المهمشة، بوقوفها في وجه الآخر الذي يسعى إلى إلغاء كل الأطراف. ولما كانت الجزائر في خمسينيات القرن الماضي تمر بمرحلة حاسمة في تاريخها شهدت بالموازاة مع ثورتها المسلحة، ثورة فكرية وأدبية عارمة مناهضة للأدب الكولونيالي الذي يحاول تحقيق الشرعية للاستعمار الذي عمد طوال فترة احتلاله للجزائر على طمس كل معالم الثقافة العربية والأمازيغية والقضاء على الموروث الثقافي بكل أشكاله، فكان الأدب من الوسائل المهمة التي اعتمدها السلطات الفرنسية لممارسة الزيف والمغالطة وتهميش الثقافة المحلية والترويج لفكرة (الجزائر فرنسية)، هذا الأدب الذي اعتمده الاحتلال الفرنسي كان يجسد الأيدولوجية الاستعمارية التي أرادت تحقيق القتل الرمزي للهوية الجزائرية.

بدأت هذه الثورة الأدبية على يد مجموعة من الأدباء الجزائريين الذين أرادوا التعبير عن مأساتهم وتصوير معاناة الشعب الجزائري والتعبير عن رفضهم وتمردهم على هذا المستعمر الذي يعسكر في مركزه مستبدًا رافضاً مهمشاً لكل ما هو جزائري، ثقافة ولغة،» وهكذا وجد الروائيون الجزائريون أنفسهم في مواجهة لغة الجانب "الأقوى" (آنذاك) فكانت اللغة الفرنسية سبيلهم لمحادثة هذا الطرف في ظل الظروف التي فرضها هذا المستعمر على اللغة العربية بصفتها اللغة الأم⁽¹⁾، لتكون لغة المستعمر هي الوسيلة الأنجع لمخاطبته وتعريبته ليظهر على حقيقته أمام شعبه قبل الشعوب الأخرى، هذا لأن

الهوية وجدلية المركز والهامش في رواية نجمة لكاتب ياسين. / علي رحمانى وناجي صالحى

الاستدمار لم يترك للجزائريين غير لغته، بعد أن قضى على اللغة العربية- أو كاد- في أوساط المثقفين والمتعلمين في مدارسهم.

ف« كان على منتجي الرواية باللغة الفرنسية، خلق مسافة لتأمل التاريخ ونقد الذات ونقد الآخر، فمن خلال هذه المسافة وفي ظل هذه المساحة بدأ الإعلان عن نص روائي جديد يبشر بإنسان جديد وب عقل جديد، قلب موازين البطولة الروائية، فإذا كان الآخر " الفرنسي" هو المركز في الرواية الاستعمارية ف- "الأنا" أي "الأهلي" هو الهامش، وفي هذا النص الجديد ولد إنسان جديد».(2)

وهاهو كاتب ياسين الثوري المتمرد يكتب بلغة الاستعمار مرغماً لأنه فقد لغته الأم عندما تعلم في المدارس الفرنسية، كاتب ياسين الذي جعل من اللغة الفرنسية غنيمة حرب كالمحارب الأسطوري الذي يفتك سلاح عدوه ويقضي عليه به، ليبقى محافظاً على هويته الجزائرية، منادياً بالاستقلال والحرية في كل أعماله رافعاً راية الكتابة في التيار الطليعي والإنساني راصداً في إبداعاته أحلام البسطاء والمهمشين.

وألف كاتب ياسين رواية نجمة" 1956" التي قال عنها: " هل ماتت روحها الجزائرية عندما كتبتها بالفرنسية". واعتبرها النقاد أجمل نص بالفرنسية لكاتب من أصل غير أوروبي حيث عبر ياسين بصدق عن فترة مؤلمة في حياة الجزائريين.

ولما كانت رواية نجمة من أهم أعمال كاتب ياسين، وأكثرها تعبيراً عن الواقع الجزائري في زمن الاحتلال الفرنسي، كانت الأجدر بالدراسة والتحليل، لما تزخر به من طبقات ومستويات هامشية ومركزية، لكن قبل هذا يجب الإشارة إلى أن رواية نجمة لم تكن عملاً إبداعياً منفرداً، بل كانت تشكل محوراً ونقطة التقاء كل أعمال كاتب ياسين، فما كانت نجمة تفارقه أبداً، تظهر برمزيته في أغلب أعماله، في(قصيدة نجمة أو القصيدة أو السكين، ورواية نجمة، ومسرحية المضلع النجمي وقصيدة بعيداً عن نجمة).

لتكون نجمة الوطن والإنسان المهمش والضائع بين الماضي والحاضر مركز كل أعماله، ومنبع إلهامه، لذا سنتناول في هذه الدراسة رواية نجمة من خلال ترجمة الدكتور " السعيد بوطاجين" لأننا نظن أن هذه الترجمة كانت الأقرب إلى الأصل.

- رواية نجمة والثورة على تقاليد الكتابة.

تعد رواية نجمة على مستوى الكتابة الروائية خطاباً مميزاً، حيث يقوم هذا العمل على مقاطع سردية متباينة قام كاتب ياسين فيها بالخروج عن المؤلف وتشويه تقاليد

الكتابة الروائية وخرق القواعد المتعارف عليها في عالم هذا الفن النثري، لتبدو هذه الرواية عبارة عن ومضات عابرة وتأملات غير منطقية، وصور شعرية كثيفة مليئة بالاستعارات والهديات أو الأحلام والكوابيس المتكررة، والكثير من الحوارات المبهمة بجمل ناقصة وكلمات ليس لها معنى، و« ليست "نجمة" عملاً روائياً وكفى، ليست قصة ننتظر نهايتها، وليست أبطلاً بالمفهوم المتواتر. إنها سديم حقيقي يقود إلى ما يشبه الهوة الممتدة من المطع إلى الخاتمة»⁽³⁾ أحدثت هذه الطفرة جدلية ولدت الانفعال والتوتر في ذهن القارئ والدارس لهذا العمل، والذي تزعزت معارفه ومعاييره الثابتة في هذا المجال، وذلك من خلال صورة الزمن وعلامة الشخصية ونظام السرد في هذا النص، حيث عمد الكاتب إلى تفكيك الزمن السردى إلى إشارات جزئية تجعل القارئ يضيع في هذا التداخل والخلط، كما أن شخصيات الرواية جاءت متوترة، مبعثرة، يصعب فهمها ورسم سماتها التي تكون صورتها، وهذا ما يستدعي إعادة تركيب المعطيات من جديد، لتكتمل الصورة باكمال النص، « وتتكرر القاعدة مع رواية نجمة بسبب الاضطراب والفضى القصوى التي اعتمدها كاتب ياسين في خطابه، بتكرار المشاهد السردية نفسها، وتكرار الأماكن والحقب التاريخية، وتداخل الأصوات الساردة، والشخصيات، ويظهر النص في صورة مجزأة، مشتتة وغير منسقة»⁽⁴⁾.

مجسداً بذلك التفكك صورة المجتمع المفكك والاضطرابات التي تسم حياة الفرد الجزائري الذي يعيش على هامش الحياة، يعيش دون وطن، دون مصير معلوم، وهاهو " سي احمد" منشغل البال في مصير هذا البلد في قوله: « يجب عليك التكبير في مصير هذا البلد الذي جئنا منه، الذي ليس مقاطعة فرنسية، الذي ليس له لا باي ولا سلطان (...)» لأننا لسنا أمة، ليس بعد»⁽⁵⁾.

إضافة إلى هذا وعلى غرار كتاب " تيار الوعي" * قام الكاتب بهدم النظام الزمني، والتلاعب بالأنساق الزمنية، وإلغاء الحدود الفاصلة بين الماضي والحاضر والمستقبل، لتتداخل الأزمنة فيما بينها، جاعلة من الماضي حاضراً والحاضر مستقبلاً في نسيج زمني مركب ومعقد يناقض المعايير التقليدية التي كانت سائدة، مغيباً بذلك الزمن الكرونولوجي والشعور بالنظام والترتيب.

كما أن البنية السردية في " نجمة" شكلت خروجاً عن المؤلف وتفكيكا للمرجعية المعهودة، حيث يفاجأ القارئ بتحول السرد من ضمير السارد الغائب والذي يجسده

الهوية وجدلية المركز والهامش في رواية نجمة لكاتب ياسين. / علي رحمانى وناجي صالحى

المؤلف، ليتحول فجأة بصوت أحد أبطال الرواية، ثم يظهر السارد من جديد ويغيب مرة أخرى،» وليس على القارئ الفرضي محاولة إيجاد العلاقات السببية بين الموضوعات بين المواد السردية قاطبة، لأن الكاتب نفسه أرادها خلط ملط، انقطاعاً على انقطاع إضماراً على آخر، سوابق على سوابق، لواحق على لواحق»⁽⁶⁾.

كل هذا التمرد على قواعد الكتابة المعروفة آنذاك، والبادي في هذه الرواية تبرره رغبة كاتب ياسين في الثورة على كل ما يشكل سلطة مركزية تفرض عليه قواعد معينة وتلمي عليه شروطاً محددة ترغمه على الانصياع لها، وهذا ما تطرق له "جاك دريدا" * حين استقرأ الفكر الفلسفي الغربي، بداية من فكر أفلاطون إلى عصرنا الحاضر، حيث لاحظ «أن الفكر الغربي فكر متحيز، عنصرى، ينصب نفسه بؤرة مركزية للعالم، ويسعى إلى تفسير العالم بإخضاعه إلى رؤية معينة ودلالة موحدة منبعثة من أناه»⁽⁷⁾، وكاتب ياسين المبعد المهمش، والتائر الرافض، واحد من الذين انتقدوا وثاروا على تلك الأفكار والأشكال السلطوية بحثاً عن الخلاص والتحرر.

خلاصة القول أن "نجمة" رواية هامشية متمردة بالنسبة لتقنيات الكتابة الروائية في فترة الاستعمار الفرنسي، وهذا لأنها لم تلق القبول في بادئ الأمر في الأوساط الأدبية الكلاسيكية في تلك الفترة، أو على الأقل أثارت حفيظة العديد من النقاد لما أحدثته من دهشة لدى القراء وما شكلته من خلخلة في القواعد الروائية المتعارف عليها، وخاصة أنها رواية جزائرية ما كان عليها أن تصل إلى هذا الحد من الثورة والتمرد في نظر الكثيرين حالها حال كل آداب الأقليات المهمشة، التي تسعى دوماً لأن تشكل مركزاً خاصاً بها تقارع به سلطة المركز الاستعماري، أو تحاول تقديم البديل عنه، من خلال ما تصنعه من تميز وتفرد.

- الشخصيات بين المركزية والهامشية:

وبالحديث عن الشخصية الروائية يتضح لنا الدور الذي تقوم به في بناء الرواية، حيث «تعد الشخصية عنصراً هاماً في بناء الرواية، ومن الصعوبة بمكان فصل هذا العنصر عن غيره، فهو يرتبط بالحدث، ويجسم الفكرة التي تنطلق بها الرواية وعن طريق تصرفات الشخصيات وعلاقاتها المتشابكة تنمو الأحداث، كما أن الحدث بدوره يؤثر في الشخصيات، ومن ثمة تكتسي أهميتها في العمل الروائي»⁽⁸⁾.

لذا بدأت الرواية بنوعين من الشخصيات، شخصيات أوروبية تمثل السلطات الاستعمارية والمعمرين، كالسيد" إرنست" رئيس الحظيرة المتعجرف سريع الغضب، والسيد" ريكار" السكير صاحب الحافلة، والفتاة الفرنسية" سوزي" بمواصفاتها الأنيقة الراقية، والنوع الثاني من الشخصيات تمثله جماعة العمال في الحظيرة وفي الحافلة وزبائن المقهى وفلاحو القرية، هذه الفئة كانت محدودة الأدوار في السرد، ليس لها تأثير في مجريات الأحداث؛ أي أنها شخصيات سطحية مهمشة، وهذا ما وصفه السارد عند حفل الزفاف بقوله: «تم الاحتفال بزواج السيد (ارنست) في حميمية غاية في الانضباط. حاول الناس تسلق الشجر والقيام بكل أنواع البهلوانيات، ولكنهم لم يتمكنوا من حضور المقصف»⁽⁹⁾، وفي المقابل حضر « كل أوربيي القرية، مع عائلاتهم، لم تنقص سوى الشخصيات ذات الأهمية الأولى»⁽¹⁰⁾.

وفي الوقت نفسه تخرج أربع شخصيات عن النوعين السابقين، وهم) رشيد، لخضر مراد ومصطفى) أربع شخصيات متمردة رافضة لكل أنواع السيطرة والظلم، فكانت هي المحرك الأساس لفصول الرواية، متفاعلة مع كل الأحداث ومتواجدة في كل مكان وفي اتصال دائم مع النوعين السابقين من الشخصيات، فكان حضورهم يؤثر في الكثير ويغير كل المعطيات، وكما قال" سي عبد القادر": «كم من المتاعب! العراك أولاً، الاعتقال وهروب لخضر والآن مراد... كانت القرية هادئة قبل مجيئكم»⁽¹¹⁾.

هذه الشخصيات أراد لها المؤلف أن تكون على هامش الحياة بالنسبة للفرنسيين لأنها مطاردة ومشاغبة من جهة، ومن جهة أخرى هي مركزية وفعالة بالنسبة للشخصيات الجزائرية، لأنها تحرك جل الأحداث في الرواية مشكلةً موضوعاً مركزياً تدور أحداثه حول تنافس هؤلاء الأربعة في حب شخصية نجمة.

- شخصية نجمة:

وبين النوعين السابقين يظهر نوع ثالث، يمثل «الخير المطلوب، أو المثال المنشود، أو الخطر المرهوب، وقد تبدو هذه القوة في صورة شخصية هي المحبوبة مثلاً، مثل (ليلي) لدى مجنون ليلي، وهي بمثابة القطب الذي يركز حوله الصراع، وهي مركز الإشعاع للقيمة أو للمثال الذي تبذل التضحيات من أجله، وتقوم العوائق في سبيل الظفر به»⁽¹²⁾، وهذا ما نجده في الكثير من الأعمال الأدبية، «بمعنى أن يكون في كل مسرحية

الهوية وجدلية المركز والهامش في رواية نجمة لكاتب ياسين. / علي رحمانى وناجي صالحى

أو قصة شخصية رئيسية أو أكثر، يعنى المؤلف بإلقاء أضواء عليها أكثر من سواها، وفي تصويرها تتمثل دعامة البناء». (13)

وإذا كانت نجمة من أهم الشخصيات في الرواية فهي كذلك المرأة الحقيقية التي أحبها كاتب ياسين في حياته، إنها ابنة عمه التي أحبها ولم يستطع الزواج منها، وهي كذلك في الرواية، الصورة الرمز التي تظهر في حياة عشاقها بطرق متعددة، تظهر في مذكرات مصطفى وفي أحاديث "رشيد" وفي حكايات "سي المختار" دون أن ينالها أحد، لتحتل هذه الشخصية المكانة المركزية في الرواية، حيث أن كل الشخصيات تدور حولها ومن أجلها على الرغم من أنها شخصية غامضة متوترة لا تفعل ولا تظهر على مستوى السرد إلا مرة واحدة من خلال حوار داخلي بسيط، لكننا نعرفها جيدا بتشكيل صورتها من أحاديث وأحلام عشاقها الأربعة، صورتها الحاضرة الغائبة في الوقت نفسه بتواجدها في أغلب المقاطع السردية، وفي أذهان كل الشخصيات، فهي في وصف مراد لها «كانت سمراء جداً، سوداء تقريباً، طبع قاس، أعصاب متوترة، هيكل صلب، قامة دقيقة، رجلان طويلتان...» (14)، وفي حديث لخضر «نجمة هي الشكل المحسوس، الصلب، اللب، النواة، ولكنها ليست الروح...» (15).

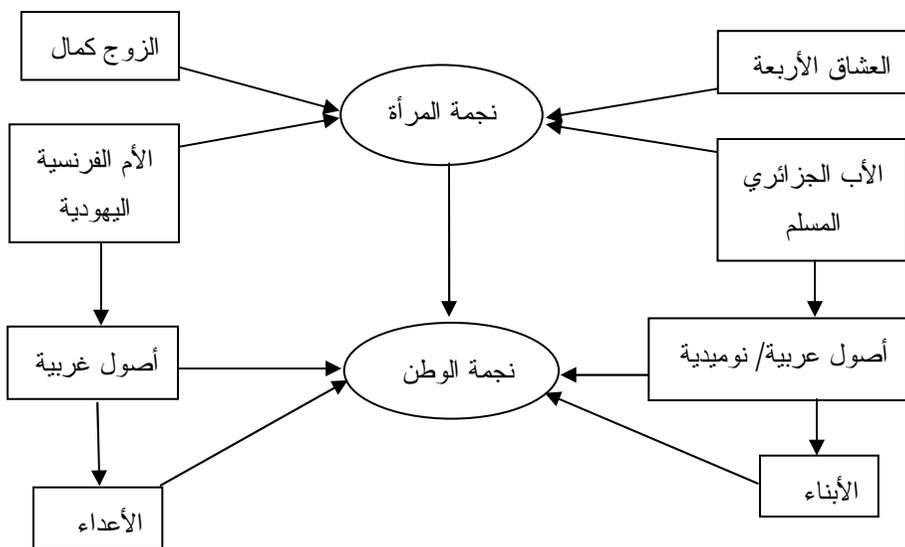
لذا فإن نجمة هي الشخصية المحورية في نص الرواية، بجسدها الساحر وروحها الخفية التي لا تتضح حقيقتها إلا من خلال جمع ملامحها المتخللة في ثنايا هذا النص، فهي تسكن جلّ فصول الرواية وتتفاعل مع أغلب شخصياتها، لتبقى هذه المرأة الشابة الأنيقة الرشيقة صاحبة الشعر الأصهب لغزاً يحير ويغري الجميع، ولا أحد يستطيع أن ينالها مثل ذلك القبس المضيء في قلب السماء «على شاكلة نجم يتعذر نهبه جراء ضوئه الخاطف». (16)

كما أن مركزية نجمة تتعدى شخصيات الرواية إلى مركزية الأصول الثلاثة التي تنتمي إليها، فهي ابنة الفرنسية ذات الديانة اليهودية، وابنة الجزائري المسلم الذي يحتمل أن يكون "سي المختار"، أو ربما والد رشيد، ليبقى السؤال: «أيهما منح الحياة لنجمة في الكهف». (17)

وتبقى نجمة في الرواية موضوعاً مركزياً للبحث المتواصل والمتعدد عن الحب من قِبل الأصدقاء الأربعة (مراد، رشيد، مصطفى، لخضر)، وعن الهوية المفقودة برمزياتها التي تمثل هذا الوطن الذي ضاعت أصوله بين النوميديّة والهلالية والأندلسية

وكذا الفرنسية، هذه الفتاة التي صورها كاتب ياسين في روايته لم تكن تلك الفتاة المثالية الكاملة التي اعتدنا ظهورها لدى الكاتب الرومانسيين، بل كانت نجمة في صورتها الواقعية المشوهة في أصولها، فنجمة هي الجزائر الضائعة بين حب الأبناء وطمع الأعداء، تتجاذبها كل الأصول والأجناس، لتعود في الأخير إلى موطنها الأصلي، إلى الناظر حيث قبيلة "كبلوت" موطن الأجداد حيث يمكن حمايتها ورعايتها، في مشهد درامي يصور حدث الاختطاف من جديد من قبل "سي مختار" و"رشيد" والعودة بها إلى الموطن الأصلي لوالدها المجهول، لتبقى هناك في الأخير في الأرض المقدسة، «وسيسترد دم كبلوت وهجه، لبّ كثافته»⁽¹⁸⁾، ويموت أو يختفي الباقون، وتظهر أخيراً صورتها بعد الاكتمال على أنها الجزائر أرضاً وروحاً وتاريخاً زاخراً بكل الأجناس التي تعاقبت عليها ولم تنف عنها جزائريتها الأصيلة.

خطاطة رقم 01: تمثل مركزية نجمة.



تمثل هذه الخطاطة المركزية الاجتماعية والعاطفية التي احتلتها نجمة المرأة بين شخصيات الرواية، حيث احتلت مكانة مهمة ومحورية في هذا النص، باعتبارها المرأة التي يبحث عنها الجميع ويعشقها كل أبطال الرواية، فهي ابنة الجزائري المسلم الذي قد يكون "سي مختار" أو "سي أحمد" من الأم الفرنسية اليهودية، وهي زوجة "كمال" الذي قد تكون شقيقته، وهي كذلك عشيقة بقية الشباب، لتبقى حلم الكل ومطلبهم بكل الأشكال.

الهوية وجدلية المركز والهامش في رواية نجمة لكاتب ياسين. / علي رحمانى وناجي صالحى

ومع أن نجمة المرأة في الرواية تمثل الوطن الذي تعددت أصوله كما تعددت أعرافه وشعوبه، فهي هذا الوطن الذي يقع في مركز الأصول، النوميديّة منها والعربية والأمازيغية، التي يمثلها الأب الجزائري، والأصول الغربية أو الشرقية التي استوطنت هذه الأرض، كالرومان والاسبان والوندال والأتراك، هذه الشعوب التي أنجبت الأبناء والأعداء، وساهمت في معاناته ومآسيه عبر العصور.

إذاً فإن الكاتب أراد لهذه الشخصية الرمز أن تكون محور هذه الشخصيات ومركزها في الرواية بكل أطماعهم ورغباتهم المشروعة واللا مشروعة، كهذا الوطن الذي جمع بين العديد من الأجناس والأمم، غازية وفاقحة وعبارة، تنهل من خيراته وثرواته، تأخذ ولا تعطي، في انتظار خلاصه وعودته إلى أصحابه الحقيقيين، مثل ما عادت نجمة المرأة إلى "الناظور" أرض الأجداد دون أن ينالها أحد من الطامعين.

- شخصية رشيد، مركز الهامشي:

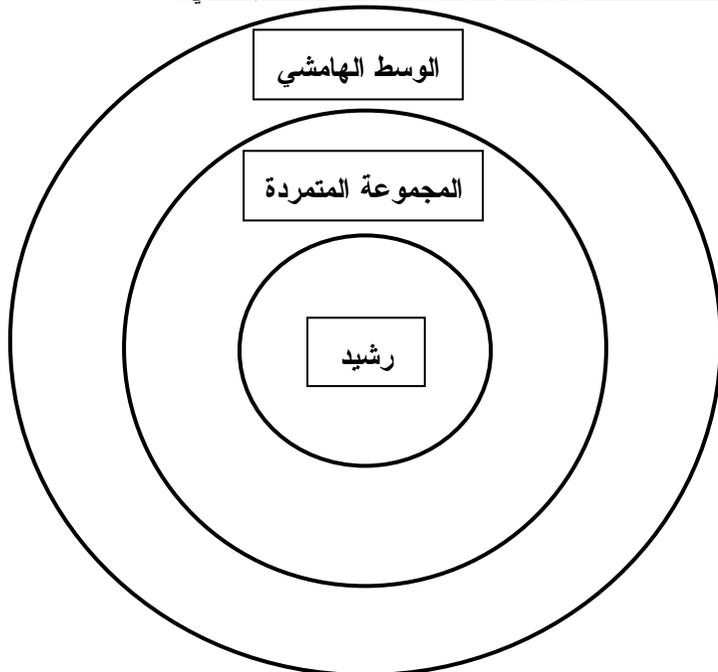
إذا كان "رشيد" في الرواية واحد من الجزائريين المستعمرين المهمشين، فإنه يتفرد عنهم بكونه متمرداً ومقاوماً لكل أشكال الإقصاء والتهميش، على العكس من الكثيرين الذين استسلموا لسلطة المستعمر المركزية في محاولة منهم لتجنبه، وهذا ما نجده عند الفيلسوف الماركسي الألماني "ولهام رايش" حين فرق «بين طبقتين من المهمشين:

- 1- مهمش حامل لموقف من المركز وحامل للوعي الطبقي والوعي الثوري على سلطته وهي ما يسميه بالبروليتاريا المناضلة أو الثورية التي تمثل سلطة الهامش الحقيقية.
- 2- مهمش لا يحمل من ذلك شيئاً بل يقنع بالجوع والهوان والذل وتتعدم فيه روح المبادرة والفكر الثوري» (19).

وبالنظر إلى حياة "رشيد" وتتبع أدواره في الرواية نجده فعلاً يمثل النوع الأول من المهمشين، وهذا من خلال تردده على السجن عدة مرات والهروب كل مرة، «رشيد الشرس، مولود ساحة لابراش والمناوشات في الشارع...» (20)، لم يختار حياة الصلابة هذه بإرادته ولم يكن يرضاه، بل فرضت عليه كرها بسبب الظروف التي وجد نفسه ضحيتها، فصل ناقماً عليها، «وابتداً رشيد يكره مكان الهجر والحزن الذي ورثه عن أب اغتيل في مقتبل العمر» (21) لكنه وجد فيها حياة أخرى مليئة بالمغامرة والترحال بحثاً عن حياة أفضل تخلصه من قلقه الدائم وضياعه المستمر، وهاهو يقول: «عشت هارباً مدة طويلة دون التخلي عن قميصي العسكري، ولم يُعرف موضعي» (22).

وبهذا فإن شخصية رشيد قد شكلت في موضوع السرد و مركزه في الرواية، من خلال توظيف الكاتب له كسارد من الدرجة الأولى، ممثلاً شخصية الجزائري المهمش من قِبل الاحتلال والباحث عن مكان مركزي له في هذا العالم.

- خطاظة رقم 02: تمثل مركزية "رشيد" بالنسبة للوسط الهامشي.



تتكون هذه الخطاظة من ثلاث حلقات، تمثل الحلقة الأكبر الوسط الهامشي بصفة عامة، مجسداً في كل الشخصيات الجزائرية المهمشة من عمال وفلاحين ومنتشردين، أما الحلقة الوسطى فتتمثل مجموعة الشباب المقاومين والمتمردين من أمثال "رشيد" و"لخضر" و"مراد" على السلطات الفرنسية بكل أشكالها، كأرباب العمل والشرطة والأثرياء، والحلقة الأصغر تمثل شخصية رشيد الأكثر تمرداً وفاعلية في أحداث الرواية، والأكثر قرباً من نجمة، ومن أبطال الرواية، ليكون مركز هؤلاء المهمشين.

- **المكان:**

يتعدى عنصر المكان في رواية نجمة حدود الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات، فهو الوجود والانتماء الذي تبحث عنه كل شخصيات الرواية، هو ذلك الحلم الضائع والكنز المفقود، فالكل يبحث عن مكان يأويه وعن وطن يحميه.

الهوية وجدلية المركز والهامش في رواية نجمة لكاتب ياسين. / علي رحمانى وناجي صالحى

تدور أغلب أحداث الرواية في أماكن هامشية رديئة تغرق في المشاكل والفقر، تصور حالة الضياع والبؤس الذي يعيشه الأبطال، مقابل الأماكن الراقية التي يتمركز فيها الفرنسي والتي تستأثر بكل متطلبات الحياة المستقرة الكريمة.

- القرية:

وباستثناء تلك الأماكن الراقية للمعمرين والتي لم يعرّها الكاتب اهتماماً كبيراً، كان كثير التركيز على الأطراف المهمشة في تلك القرية والتي تعد الوسط المناسب لتحرك أبطال من طبقات دنيا، أحياء شعبية ومقاهٍ وحانات رديئة هي صورة لحياة هؤلاء الأشقياء، فهم ينامون في المراقد الجماعية ويسهرون في «أكثر المقاهي الشعبية مدعاة للرتاء»⁽²³⁾، ويترددون على دور الدعارة ويتنقلون عبر الأزقة المهجورة والسطوح، وفي الغابات والجبال هروباً من السجن وملاحقات الشرطة.

- السجن:

أما السجن فد« هو ذلك الحيز المظلم الذي يثقل كاهل الإنسان بالأحزان، قد يضم بين جدرانه وأعمدته على مر الحقب والأزمنة والفترات العديد من الشعراء و(الأدباء)، أملاً في خنق كلماتهم وأفكارهم وإعدام آرائهم الحرة التي تحمل بين طياتها أحلام الشعوب والأمم»⁽²⁴⁾.

فكان السجن من أكثر الأماكن تمظهراً في هذه الرواية، مشكلاً بذلك أهم مكان للإقصاء والإبعاد والتهميش والعذاب والموت، وهاهو مراد يصف حاله وحال هذا المعتقل بقوله: «سوء الحظ ينتظرنا على هامش الخرائب، المعتقل الذي صنع مجد نابليون الثالث»⁽²⁵⁾، السجن الذي تردد عليه أغلب أبطال الرواية، بداية من الذين اعتقلوا بسبب مظاهرات الثامن من مايو، إلى اعتقال "لخضر" الذي اعتدى على رئيس العمل في الورشة، إلى مراد والكثيرين الذين أسروا ظلماً.

ونتيجة لكل هذا الحصار نجد أبطال الرواية يفضلون الرحيل ومغادرة القرية وكل تلك الأماكن الموحشة، إلى التيه في اللا مكان والضياع في الغابات والوديان والأحراش بحثاً عن الأمان والاستقرار وعن الوطن الأم، عن أرض الأجداد التي كانت مركزهم المبارك بروح الجد "كبلوت"، هذا الوطن الذي يحمي نساءه بدماء رجاله» قالت كبلوت إنها لا تحمي إلا بناتها»⁽²⁶⁾، ليبقى الناظور "كما كان عصياً على الغزاة.

الجزائر لم تولد بعد ولهذا يبحث الروائي عن شجرة نسب في قبيلة كبيرة اسمها « كبلوت» من خلال أبناء عمومة يلتقون في ليلة غامضة في مغارة مهجورة ويغتصبون امرأة فرنسية يهودية هي التي تنجب في ما بعد «نجمة». يقتل أحدهم ليلتها من دون أن يُعرف من قتله ويتحمل ابنه « تركة» البحث عن القاتل ولن يعرف من هو أبو «نجمة». ويرث الأبناء تلك العقدة أو تلك العلاقة الغريبة، ولن يعرف أحد من شخصيات هذه الرواية من يكون أخ نجمة الحقيقي وكلهم يعشقونها حتى الهذيان ولكن من دون أن يستطيع نيلها أحد. يختطفها أحد حراس القبيلة وهو زنجي اسود البشرة ويدخلها في نساء « كبلوت» التي يحرم على الغرباء عن القبيلة المساس بها.

ومن خلال بحثنا عن تجليات الهوية في رواية نجمة لكاتب ياسين، التي وجدناها أنموذجاً مناسباً لتقصي وإدراك مدى الصراع القائم بين المركز المتجلي في سلطة الاحتلال الفرنسي بكل أشكاله، والهامش المتجلي في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية لأبطالها لترسيخ الهوية وإثباتها، إضافة إلى ذلك ما شكلته الرواية كإبداع أدبي متمرد في مواجهة السلطة التقليدية الممثلة في الشعر، فهي جنس يحاول إثبات ذاته والحصول على مكان تحت الشمس لمواجهة التهميش الذي فرضته المركزية الأدبية والنقدية التقليدية في تلك الفترة على بقية الأجناس التي حاولت تقديم أدب جديد على مستوى الشكل والمضمون الجديد.

الهوامش:

1- نوال بن صالح: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير، صراع اللغة والهوية، منشورات المخبر، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 07. 2011، ص 222.

2- نوال بن صالح: المرجع السابق، ص 223.

3- كاتب ياسين: رواية نجمة، تر: السعيد بوطاجين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر، ط1، 2007، ص 6 (من مقدمة المترجم).

4- كريمة بالخامسة: إشكالية التلقي في أعمال كاتب ياسين، مخطوط أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، دت، ص 175.

5- الرواية: ص 167.

*- تيار أدبي أول ظهور له كان عند عالم النفس الانجليزي وليام جيمس في كتابه "أسس علم النفس"، ثم ظهر في مجال الأدب عند الناقدة" ماي سنيكلر"، يهتم هذا التيار بالجوانب الشخصية الداخلية كالعواطف والأحاسيس، والاهتمام بالنفس الإنسانية والمشاعر والتداعيات والمونولوج الداخلي.

6- رواية نجمة، مقدمة السعيد بوطاجين، ص 6.

**-* ولد الفيلسوف جاك دريدا بالجزائر (الأبيار) عام 1930، ومات في باريس عام 2004، وهو من زعماء التفكيكية، من مؤلفاته، الكتابة والاختلاف 1967، التشتت 1969، مواقف 1972-1982، أطيف ماركس 1995.

7- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر، ط1، 2008، ص 357.

8- صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2003، ص 363.

9- الرواية: ص 36.

10- الرواية: ص 31.

11- الرواية: ص 36.

12- محمد غنيمي هلال: المواقف الأدبية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 84.

13- محمد غنيمي هلال: المرجع نفسه، ص 72.

14- الرواية: ص 102.

15- الرواية: ص 323.

16- الرواية: ص 177.

17- الرواية: ص 230.

18- الرواية: ص 168.

19- محمد لمين بحري: تاريخ الهامش ودلالته في الفكر العالمي، منشورات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها،

www.univ-biskra.dz/lab/labreception/index.com.

20- الرواية: ص 45.

- 21- الرواية: ص 201.
22- الرواية: ص 242.
23- الرواية: ص 11.
24- يوسف العايب: المتعاليات النصية في أدب السجون والمعتقلات في الجزائر، مخطوط رسالة دكتوراه في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2011 / 2012، ص 107.
25- الرواية: ص 53.
26- الرواية: ص 193.